وان تخلع الجبهة الشعبية على نفسها لقب فصيلة طليعية ماركسية – لينينية شيء، وان تحقق ذلك على الأرض شيء آخر. كان هذا التناقض الداخلي هو المحرك الأول للعمل.

لقد عاشت الجبهة في الأراضي المحتلة عقدين ونصفا، كأبطال الإغريق، في صراع مرير بين الوجود واللاوجود، بين عملية البناء وعملية الهدم، إلى أن راكمت ما راكمت.

ولئن كتب لينين في بدايات القرن العشرين «إن المهمة تكمن بالحفاظ على الحزب وصلابته وثباته... ورفع لقب عضو الحزب وقيمته أعلى فأعلى» فالجبهة تمثلت هذه الكلمات وقامت بتأصيلها لكيما تصبح (المهمة هي بناء الحزب في مجتمع مشتت تقليدي لم تنفك مظاهره الحداثية في بدايتها»، والحزب الحديث هو حداثي اولا ويضم أفرادا «أحرارا» يلتحقون به بصفة افرادية طوعية متجاوزين التقسيمات الطائفية والعشائرية والعوائلية غير الطوعية والتراتبية التسلطية التي تسود المجتمع التقليدي عادة.

فكيف يمكن بناء حزب يعتبر نظريا أرقى أشكال التنظيم الطبقي في ظل هذا الواقع الخاص بما يتصل به من منظورات ثقافية وتخلف علمي وديموقراطي؟ وكيف يفهم القانون الأساسي الذي أكد عليه النظام الداخلي للجبهة الشعبية (المركزية الديموقراطية) وكيف تجلت ترجماته؟ وهل حقاً نبضت نفسية «المحارب البرولتياري» أم نفسية «المثقف البرجوازي الذي يتأنق بالجملة الثورية» وهل قامت «القاعدة والقيادة بتنفيذ الواجبات» لينين؟

وانحياز الجبهة للقواعد اللينينية في البناء التنظيمي جعلها تستوحي الكثير من هذه القواعد، وفي نفس الوقت أن تفهمها بطريقتها، وقبل كل شيء أن تتعامل مع ظروفها حيث تمضي والنار تطلق عليها من كل الجهات، خصوصاً نيران الاعتقال التي لا تخمد أبدا...

إضافة إلى قانون المركزية الديموقراطية، هناك قانون القيادة الجماعية والمسؤولية الفردية والتخصصات، والوحدة الفكرية والسياسية وحق التفكير والاجتهاد والمبادرة، ونسبة المرأة ودورها، وشروط وحقوق وواجبات العضوية، التركيب التنظيمي والبنية الحزبية وتوزعها في الوطن المحتل والمضمون الطبقي وشتى تقاليد العمل الحزبي التي يتعرض لها هذا الفصل تباعاً...